# أثر الواقع السياسي على عصر إبن خلكان (ت:٦٨١هـ)

# The Effect of The Political Reality on The Age of Ibn Khulkan (d. 681 A.H.)

زكي يونس عثمان الزيباري
أ.د.نوفل محمد نوري
أستاذ
جامعة الموصل – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم التاريخ

Zaki Younis Othman Al-Zibari
Dr. Noufal Mohammed Nouri
Professor
University of Mosul - College of Education for Human Sciences - Department of History

Zakey.23ehp74@student.uomosul.edu.iq
https://orcid.org/٦٤٣٢-٧٣٢٥-٠٠٠١-٠٠٠٩
aalnuri@uomosul.edu.iq

**الكلمات المفتاحية: الأيوبيين، الصليبيين، المماليك، اربل، كوكبوري.**
**Keywords: Ayyubids, Crusaders, Mamluks, Erbil, Kokobori.**

**الملخص**

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على تلك الحقبة التاريخية التي عاصرها المؤرخ ابن خلكان، والتي امتدت بين السنوات (٦٠٨-٦٨٢هـ/١٢١٠-١٢٨٢م)، مع التطرق إلى الفترة التي سبقت ولادته، اذ شهدت تلك الحقبة الزمنية عدة تطورات جوهرية وأحداثاً مفصلية وتركت بصمتها على الأحداث السياسية، وتمثلت في ظهور قوى اثرت على مجريات الأحداث، و وانعكس تأثيرها على الواقع السياسي ابان الحقبة التي نشأ وترعرع فيها ابن خلكان، إذ شهد ظهور قوى مختلفة كانت قد أثرت على المشهد السياسي متمثلة بالحملات الصليبية، والغزو المغولي كقوة خارجية غازية من جهة، إلى جانب القوى الداخلية المحلية التي تمثلت بالدولة الأيوبية العاملة في المنطقة، والدولة الزنكية ثم دولة المماليك لاحقاً، بالإضافة إلى الصراعاتالتي نشبت فيما بينهم فيما بعد، والتي أثرت على المنطقة، كما تناول البحث تلك البيئة المحلية التي نشأت فيها ابن خلكان، وتحديداً في مدينة إربل، في ظل حكم الأمير مظفرالدين كوكبوري، والذي كان له مساهمة واضحة في تشكيل ملامح تلك البيئة الثقافية والفكرية.

**Abstract**

The research aims to shed light on the historical era that the historian Ibn Khallikan witnessed, which extended between the years (608-682 AH / 1210-1282 AD), while addressing the period preceding his birth, as that period witnessed several fundamental developments and pivotal events that left their mark on political events, and were represented in the emergence of forces that influenced the course of events, and their impact was reflected in the political reality during the era in which Ibn Khallikan grew up and was raised, as he witnessed the emergence of different forces that had influenced the political scene represented by the Crusades, and the Mongol invasion as an invading external force on the one hand, in addition to the local internal forces represented by the Ayyubid state operating in the region, the Zengid state and then the Mamluk state later, in addition to the conflicts that erupted between them later, which affected the region, and the research also dealt with the local environment in which Ibn Khallikan grew up, specifically in the city of Erbil, under the rule of Prince Muzaffar al-Din Kokburi, who had a clear contribution to shaping Features of that cultural and intellectual environment.

**المقدمة**

تناول البحث بالدراسة إبرز أحداث العصر الذي عاشه المؤرخ إبن خلكان، والأحداث التي قبل ولادته، ومدى تأثيرها على الواقع السياسي في تلك الحقبة، وقد قسم البحث الى مقدمة، وتعريف لإبن خلكان وسيرته ورحلاته العلمية ووظائفه الإدارية، فضلا عن تنقلاته في مناطق نفوذ قوى محلية متنوعة في الموصل وبلاد الشام ومصر، طالباً للعلم ثم استاذا وفقيها وبعدها قاضيا، وهو يعاين متغيرات سياسية واحداثا جعلت منه كاتبا للتراجم ومؤرخا حاذقا الى حد كبير، لينقل ملامح ذلك العصر بطريقة سردية احيانا او ملمحا الى مواقف اخرى ،ولم يذكر المتغيرات بصورة مباشرة ومحافظا على منهج هذا النوع من المؤلفات الخاصة بكتب التراجم، فهل تأثر ابن خلكان بالتحولات والمناكفات السياسية التي عايشها؟ وكيف أثرت الصراعات على مسيرته العلمية والإدارية، ومن ثم عرض البحث أحداث نشوء الدولة الزنكية، والدولة الأيوبية في مصر، ومحاولات صلاح الدين في توحيد الجبهة الإسلامية في التصدي للقوة الصليبية المتواجدة في المنطقة، و الصراعات والتقسيمات بين أبناء الأسرة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي والتي كانت سبباً لظهور الدولة المملوكية فيما بعد، ثم ملامح البيئة المحلية التي عاشها ابن خلكان في إربل والمناطق المحيطة بها، وختمت البحث بنتائج وقائمة للمصادر والمراجع المستخدمة، وكانت احدى اهداف البحث تحليل الواقع السياسي في المشرق

الإسلامي خلال القرن (٧هـ/١٣م) وتأثيره على الحياة الفكرية وطبيعة انعكاسها في مؤلفه وفيات الاعيان، فضلا عن دراسة دور ابن خلكان كقاضٍ ومؤرخ ومدى تفاعله مع الأوضاع السياسية في عصره.

**إبن خلكان، سيرته، رحلاته العلمية، وظائفه الإدارية:**

هو شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان (الصفدي، ٢٠٠٠م، ج٧، ٢٠١)، بن بائك بن عبدالله بن شاكل بن الحسين بن مالك، بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي، البلخي الأصل، الاربلي، الدمشقي، الشافعي (السبكي، ١٩٩٢م، ج٨، ص٣٢)، ولد ابن خلكان في مدينة أربل في الحادي عشر من شهر ربيع الآخر سنة (٦٠٨هـ/١٢١١م) بالمدرسة المظفرية (ابن خلكان، ٢٠١٠م،ج٢، ص٣٤٤-٣٤٥،ج٤، ص٩)، انتسب للقبيلة الكُردية الزرزارية، من مدينة بلخ (ابن خلكان، ٢٠١٠م،ج٤، ص٩)، كان والده شهاب الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان العالم والفقيه ، تفقه بالموصل، على مذهب الإمام الشافعي (ابن كثير، ١٩٩٣م، ص٧٧٨)، وكان لوالده مكانة عند صاحب اربل مظفر الدين كوكبوري (٥٤٩ -٦٣٠هـ/١١٥٤-١٢٣٣م) ، عمل مدرسا اذ انتقل إلى بغداد حيث قام بالتدريس في المدرسة النظامية، وارتحل إلى الشام ومصر، قبل أن يعود إلى أربيل ليواصل التدريس في المدرسة المظفرية حتى وفاته سنة(٦١٠هـ/١٢١٣م) (الأسنوي، ١٩٨٧م، ص٢٣٨)، ان التنقل والبحث عن العلوم الفقهية صقله ورثها ابن خلكان من والده ولهذا نجده قد تجول في أربل، والموصل، وحلب، ودمشق، والقاهرة (الصفدي، ٢٠٠٠م، ج٧، ص٢٠١).

نشأ وترعرع إبن خلكان في بيت علم، إذ تؤكد المصادر، أن بيت بني خلكان كان مشهوراً بالفقه، والعلم ، وبالمناصب الدينية (ابن المستوفي، ١٩٨٠م، ج٢، ص٤٧٣)، مما أهله ذلك إلى الوصول إلى مصاف العلماء والفقهاء، إذ تفقه ونشأ في مدينة أربل، وأخذ علومه في مدرسة سلطانها مظفر الدين كوكبوري (ابن خلكان، ٢٠١٠م،ج٤، ص٩-١٠)، وحصل على إجازات علمية فيها (العيني، ٢٠١٠م، ج٤، ص١٣٠)، ومن ثم خرج من اطار طلب العلم على علماء أربيل ومشايخها،الى الاحتكاك بالعلماء الوافدين إلى المدينة والافادة من علمهم، وهو في الخامسة عشر من عمره (شميساني، ١٩٩٠م،ج٦، ص٣٧)، أمثال ابن عنين (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، و جمال الدين ابن السنينيرة الواسطي (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، والفلكي أثير الدين المفضل بن عمر بن المفضل الأبهري (ت:٦٦٣هـ/١٢٦٤م)، ودرس ابن خلكان عليه علم الخلاف الفقهي، والمؤرخ الأندلسي، من أهل سبتة، أبو الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية الكلبي (ت:٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م).

**إبن خلكان في مناطق نفوذ الحكم الزنكي والأيوبي والمملوكي فيما بعد:**

ما أن بلغ ابن خلكان الثامنة عشر من عمره حتى شعر بأن اربل لم تعد تشبع طموحاته العلمية، فبدأ في البحث عن مراكز علمية اخرى، ترك مدينته أربل وتوجه الى مدينة الموصل في رمضان عام (٦٢٦ هـ/١٢٢٨م)، وتردد الى مجالس الفقهاء (ابن خلكان، ٢٠١٠م،ج٥، ص٣١١)، قرر ابن خلكان بعدها الرحيل إلى حلب بصحبة أخيه، الذي سبقه إليها، والتقى فيها بشيخه إبن شداد الذي استقبله بحفاوة (ابن خلكان، ٢٠١٠م،ج٧، ص٩٠)، وفي مدينة حلب التقى ابن خلكان بالمؤرخ الشهير ابن الأثير الجزري (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، اذ كان ابن خلكان يتردد عليه باستمرار، وقد أولى ابن الأثير اهتمامًا خاصًا بابن خلكان (ابن خلكان، ٢٠١٠م،ج٤،ص٣٤٩)، والتقى بشيوخ آخرين (ابن خلكان، ٢٠١٠م،ج٧،ص٤٦-٥٢، ج٧،ص٩٠)، ومن ثم رحل الى مدينة دمشق لتوسيع دائرة معارفه وبها درس على يد علمائهم (ابن خلكان، ٢٠١٠م،ج٣، ص٢٤٣-٢٤٤)، ومن ثم عاد إلى مدينة حلب في أواخر سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) ، ثم التقى بصاحبه عون الدين سليمان بن عبد المجيد بن الحسن ابن العجمي الحلبي (ت:٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، الذي كانا يحضران معاً مجالس العلم في حلب (ابن خلكان، ٢٠١٠م،ج٦، ص٢٥١)، كما التقى في عام (٦٣٤هـ/١٢٣٧م)، بالمؤرخ والأديب ابن الشعارالموصلي (ت:٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، ولقي فيها الشاعر ابو المحاسن المعروف بالشواء (ت٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م) (ابن خلكان، ٢٠١٠م،ج٧، ص٢٣١-٢٣٦)، و بعد أن أقام في بلاد الشام لمدة عشر سنوات (ابن خلكان، ٢٠١٠م،ج٥، ص٣١٧)، توجه نحو مصر، حيث رأى في رحلته فرصة للاستزادة من علومها والافادة من بيئتها العلمية الغنية، واتصاله بشيوخ الديار المصرية، بعدما تتلمذ على يد أشهر علماء بلاد الشام، خلال مدة إقامته في مصر (جاسم، ١٩٨٩م، ص٢٨)، التقى بعدد من العلماء والقراء البارزين، كان من بينهم الشاعر البهاء زهير(ت:٦٥٦هـ/١٢٥٨م) (ابن خلكان، ٢٠١٠م،ج٢، ص٣٣٢-٣٣٨)، وكون ابن خلكان صداقة مع الأمير الشاعر جمال الدين بن مطروح المصري (ت:٦٤٩هـ/١٢٥١م) (ابن خلكان، ٢٠١٠م،ج٦، ص٢٥٨-٢٦٦)، والتقى ايضا ب عبدالعظيم المنذري (ت:٦٥٦هـ/١٢٤٨م)، وعده من شيوخه قال عنه: " شيخنا " (ابن خلكان، ٢٠١٠م،ج٣، ص٨٣)، وهو المؤرخ صاحب كتاب ( التكملة لوفيات النقلة ).

اما أربل فكان يتولاها نواباً عن زين الدين بن علي بن بكتكين الملقب (كجك) في الفترة (ت:٥٦٣هـ/١١٦٧م)، الذي كان قد تسلم أمرها بعد نيابته للموصل والبلاد الشرقية، من قبل عماد الدين زنكي مؤسس الدولة الزنكية سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م) (ابن الأثير، ٢٠١٢م، ج٩، ص١٣٤)، ومن بعد وفاة زنكي سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م) كانت له الحضوة من قبل ابنه قطب

الدين مودود (ت:٥٦٦هـ/١١٧٠م) (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٥، ص٣٠٢-٣٠٣)، فكان له الى جانب اربل تكريت وسنجار وشهرزور وقلعة عقر الحميدية والعمادية وقلاع الهكارية (ابوشامة، ١٩٩٧م، ج٢، ص٣٨)، وخلال فترة حكمه أنتعشت اربل وامتدت في عمرانها وعمائرها الدينية والمدنية من مساجد ودور وقصور ومدارس وخانقاة، وبذلك خطت هذه المدينة خطوات كبيرة في التقدم والإزدهار(ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٢، ص٣٤٥، ج٥، ص٣١١).

بعد وفاة زين الدين كجك تولى أمر اربل إبنه مظفر الدين كوكبوري، الذي كان عمره أربع عشر سنة، ولهذا أوكل أمره الى اتابكه مجاهدالدين قايماز (ت:٥٩٥هـ/١١٩٨م) ، أقام مظفر الدين معه مدة من الزمن، إلا أن مجاهد الدين تعصب ضده ورفع محضراً الى الديوان العزيز يفيد بعدم أهليته للولاية، وعن ذلك قال ابن خلكان : "وشاور الديوان العزيز في امره واعتقله ..." (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٤، ص١١٤)، واستبدله بأخيه زين الدين أبو المظفر يوسف، الذي كان أصغر منه سنًا، وأبعد مظفر الدين من البلاد، فتوجه إلى بغداد، لكنه لم يلتف إليه احد (الذهبي، ١٩٩٣م، ج٤٥، ص٤٠٢)، فرجع الى الموصل وبها يومئذٍ سيف الدين غازي بن مودود ( ٥٦٥-٥٧٦هـ/١١٧٠-١١٨٠م)، واتصل بخدمته، فأقطعه بلد حران، حيث انتقل إليها وأقام بها لفترة (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٤، ص٤-٥)، وبعد ذلك التحق بخدمة السلطان صلاح الدين الأيوبي، فاكتسب ثقته وحظي بمكانة رفيعة لديه، فمنحه صلاح الدين مزيدًا من الإقطاعات، شملت الرها وسميساط، وذلك في سنة ( ٥٧٨هـ/١١٨٢م )، ولما لمس فيه السلطان الإخلاص والإقدام، زوجه بأخته الست ربيعة خاتون(ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٤، ص١١٥)، وبعد وفاة أخيه أبي المظفر يوسف صاحب اربل، طلب كوكبوري من صلاح الدين أن يتنازل عن إقطاعاته في حران والرها وسميساط مقابل الحصول على إربل، وافق صلاح الدين على طلبه، بل وزاده إقطاع شهرزور، فتوجه مظفرالدين كوكبوري إلى إربل ودخلها في ذي الحجة من سنة (٥٨٦هـ/١١٩٠م)، وما ان استلم البلد حتى وبدأ في البناء والتعمير وشيد المدارس والقصور والخانقاة والبيمارستانات ودوراً للأيتام وللأرامل، وعظم عنده أهل العلم والعلماء، وكان يشرف عليها بنفسه في كل عصرية يوم إثنين وخميس(ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٤، ص١١٦)، ولقد أدت تلك السياسة دورها في تطوير المجتمع (جاسم، ١٩٨٩م، ص١٥)، وان ابن خلكان أطنب في وصفه ومدحه وكرمه وإيمانه، وأطال في ترجمته له (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٤، ص١١٦-١١٧)،وتكلم عن جعلهِ من مولد النبي (ﷺ) موسماً عظيماً امتدت فيه الحفلات تجاوز الإثنى عشرة يوماً، وكان ابن خلكان قد عاصر تلك الإحتفالات و صورها وكأن القارئ يحضر تلك المشاهد الروحانية، للمزيد حول مشاهد الاحتفال بالمولد النبوي ﷺ في اربل في ايام مظفرالدين كوكبوري ينظر الى: (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٤، ص١١٧-١١٩).

ونظراً لأعمال كوكبوري الخيرة وإهتماماته بالعلم والعلماء وتطوير وانشاء المدارس، وطموحه لجعل دياره قبلةً للناظرين والوافدين، فقد استقطبت واستهوت اربل نفوس العديد من العلماء والفقهاء وطلاب العلم، وكان من ضمن هؤلاء ان وفد محمد بن ابراهيم والد ابن خلكان الى المدرسة المظفرية نسبة الى مظفرالدين كوكوبوري، الذي باشر فيها عمله في الإقراء والتدريس، وكانت ولادة ابن خلكان الذي هو موضع دراستنا في هذه المدرسة، فشهد جانباً لابأس به من ذلك العهد الزاهر لأربل بين السنوات (٦٠٨-٦٢٦هـ/١٢١١-١٢٢٨م) للمزيد ينظر: (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج١، ص٢١٢، ص٢١٥، ص٣١٧، ج٤، ص١٤٩، ج٦، ص١٢٤)، وتركها في سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) وهي لا تزال في زهوها وازدهارها علماً وثقافة واقتصاداً وسخاءً فقال : " وكنت خرجت من إربل في أواخر شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة ... " (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٣، ص٥٠٣).

وفي السابع عشر من شهر رمضان من سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) (ابن كثير، ١٩٩٩م، ج١٧، ص٢٠٤)، ورد الخبر الى بغداد بوفاة امير اربل مظفر الدين كوكبوري، استنفر الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م) جيشه للتوجه الى اربل، فإستولى عليها عنوةً وتولى امرها الأمير شمس الدين ناتكين أمير البصرة (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٢م، ج٢٢، ص٣٢٥)، ورتب الخليفة العباسي أمور إدارتها وقرر القواعد ومن ثم رجع الى بغداد (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٤، ص١٥١).

هكذا بقيت اربل ضمن مناطق الخلافة العباسية تحت أيدي أمرائها الى سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) ، عندما نازلها المغول التتار وحاصروها، وبالرغم من تحصن اهلها فقد أنتهى الأمر بإجتياحها وقتل اكثر أهلها، ولم ينج منهم الا من لجأ الى القلعة، فضيق بهم الحال جراء الحصار عليها ومات الكثير منهم بسبب قلة المؤن الى ان حل فصل الشتاء رحل عنها التتار (ابن كثير، ١٩٩٩م، ج١٧، ص٢٢٨)، وكان ممن أمد المغول بما يحتاجون من الميرة وآلات الحرب بهذا الحصار بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل (ابن الفوطي، ١٩٨٧م، ص٢٧)، ويمكن القول ان مساعدة الأخير للمغول في حصار إربل كان نتيجة تحالف مظفر الدين كوكبوري سابقاً مع أبو الفتح عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود صاحب سنجار (ت:٥٩٤هـ/١١٩٧م) (ابن الأثير، ١٩٦٣م، ص١٩١)، ضد أطماع كل من بدرالدين لؤلؤ وحليفه الملك الأشرف موسى ابن العادل على الحكم في المنطقة إذ كان حلف الأضداد بمعنى أن صاحب اربل كان حليفاً لصاحب سنجار الزنكي ضد بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل الذي كان حليفاً للبيت الأيوبي في هذه الحقبة، وأن كوكبوري كان قد تقدم بقواته لمحاصرة مدينة الموصل أكثر من مرة في السنوات (٦١٦هـ-٦٢١هـ-٦٢٣هـ/-١٢٢٤م-١٢٢٦م-١٢١٩م)

(ابن الأثير، ٢٠١٢م، ج١٠، ص٣٢٩، ص٣٨٦، ص٤١١)، وبالرغم من وقوع الصلح بينهم بتدخل الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م) لأكثر من مرة للمزيد حول هذه الأحداث ينظر: (ابن الأثير، ٢٠١٢م، ج١٠، ص٣١٥-٣١٧) ، لكن هذه القلاقل لم تنتهي، بين حلف مظفر الدين كوكوبوري وعماد الدين زنكي والأمراء المؤيدين لهم من جهة و وبين حلف بدرالدين لؤلؤ والملك الأشرف من جهة ثانية (الجميلي، ١٩٧٧م، ص٢٠٣).

وكما بينا سابقاً انه قبل اجتياح المغول لأربل سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) ووفاة اميرها كوكبوري تركها ابن خلكان، وحسب التقديرات فإن عمره كان في وقتها ثمانية عشرة عاماً، ورحل الى الموصل ولم يطل الإقامة بها سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، وتوجه الى الشام (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٥، ص٣١١)، كانت الموصل في وقتها تحت سيطرة بدرالدين لؤلؤ، الذي لم يكد أتابكها نور الدين أرسلان شاه الثاني ان توفي سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م)، حتى تولى بدر الدين لؤلؤ أمر الموصل، إذ نصب ناصر الدين محمود، شقيق نور الدين أرسلان، حاكمًا للمدينة، وكان ناصر الدين محمود حينها في الثالثة من عمره تقريبًا، ولضمان استقرار الحكم له وكسب تأييد أهل الموصل (ابن العبري، ١٩٩٢م، ص٢٤٩)، قام بدر الدين لؤلؤ بتحليف الجند للولاء للطفل الحاكم، وطاف به في أرجاء المدينة لتهدئة النفوس وهو راكب فرساً، وعن ذلك يقول ابن الأثير: " فطابت نفوس الناس لان نور الدين كان لا يقدر على الركوب لمرضه فلما ركبوا هذا علموا ان لهم سلطانا من البيت الاتابكي فاستقروا واطمأنوا وسكن كثير من الشغب بسببه " (ابن الأثير، ٢٠١٢م، ج١٠، ص٣٣٠).

تولى ابن خلكان في مصر نيابة القضاء وقاضي قضاة مصر بدر الدين السنجاري (ت:٦٦٤هـ/١٢٦٥م) (الصفدي، ٢٠٠٠م، ج٢٩، ص٨٠-٨١)، حوالي سنة (٦٤٥هـ/١٢٤٧م)، إذ يشير إبن خلكان أنه كان في مجلس الحكم بالقاهرة في هذه السنة (ابن خلكان، ٢٠١٠م،ج٢، ص٩٩؛ الصفدي، ٢٠٠٠م، ج٧، ص٢٠١)، ونظراً لكفاءته ترقى من منصب نيابة القضاء الى وظيفة القاضي فيما بعد، اذ ولي قضاء مدينة محلة التي تقع بين القاهرة ودمياط (ياقوت، ج٥، ص٦٣)، استمر إبن خلكان في قضاء مدينة محلة الى ان وصل الممالیك الى الحكم بعد الأيوبيين و إنتصارهم على المغول في عين جالوت سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ، وسيطرة الظاهر بيبرس على مقاليد الدولة المملوكية فيما بعد (ابن عبدالظاهر، ١٩٧٦م، ص٦٣-٦٥)، فقرر السلطان الظاهر بيبرس السفر إلى الديار الشامية، وخلال ذلك وردته ملاحظات نقدية بشأن أداء قاضي دمشق، نجم الدين أبي بكر بن صدر الدين بن أحمد بن يحيى بن سني الدولة ت(٦٨٠هـ/١٢٨١م) ، فعزله وعين مكانه ابن خلكان لتولي القضاء في دمشق (ابن طولون، ١٩٥٦م، ص٧٦)، وصل ابن خلكان إلى دمشق في

سنة (٦٥٩هـ/١٢٦٠م) (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٧، ص٢٥٧)، اذ بدأ مباشرة مهامه في القضاء والتدريس في سبع مدارس كانت تحت الحاكم المعزول الذي قبله (العيني، ٢٠١٠م، ج١، ص٣١٤)، استمر ابن خلكان في منصبه عشر سنوات الى ان تم عزله من قبل الظاهر بيبرس في ٨ ذي القعدة سنة (٦٦٩هـ/١٢٧٠م) دون توجيه تهمة معينة له، وعين بدلاً عنه عز الدين بن الصائغ (ابن طولون، ١٩٥٦م، ص٧٦، ص١٧٨)، رجع ابن خلكان إلى القاهرة سنة (٦٦٩هـ/١٢٧١م) بعد عزله، وعمل مدرساً في المدرسة الفخرية (ابن كثير، ١٩٩٩م، ج١٣، ص٣٣٢؛ النعيمي، ١٩٩٠م، ج١، ص٣٢٦-٣٢٧)، ولكن عندما تولي الملك السعيد ابن الظاهر الحكم (ت:٦٧٨هـ/١٢٨٠م)، فأعاد ابن خلكان إلى منصبه السابق كقاضي القضاة في الشام سنة (٦٧٧هـ/1279م) ( الذهبي، ١٩٩٣م، ج١٥، ص٢٠٨)، قضى إبن خلكان في منصبه ثلاث سنوات، لكنه تعرض لمحنة سياسية نتيجة للاضطرابات التي شهدتها الدولة المملوكية، إذ أعلن نائب السلطنة في دمشق، الأمير سنقر الأشقر، الانفصال عن حكم مصر في نهاية سنة(٦٧٩هـ/١٢٨٠م) (ابن تغري بردي، ١٩٩٢م، ج٨، ص٣٧)، كان ابن خلكان من بين الفقهاء الذين أفتوا على شرعيته (ابن كثير، ١٩٩٣م، ص٩١٩)، إلا أن حكم سنقر الأشقر لم يستمر طويلًا، حيث وصلت الجيوش المصرية إلى دمشق في نفس السنة، وأعادت المدينة إلى حكم السلطنة المملوكية في مصر (ابن عبدالظاهر، ١٩٦١م، ص٦٢-٦٧)، ونتيجة لموقف ابن خلكان، اعتقل وعين القاضي ابن سني الدولة مكانه، ولم تمضي مدة حتى وصلت رسالة من مصر تتضمن عفواً عاماً من قبل السلطان قلاوون لكل من شارك في فتنة سنقر الأشقر وكان ابن خلكان واحداً منهم، وجاء البريد من مصر بإعادته إلى ما كان عليه من القضاء وإنكار ولاية ابن سني الدولة (النويري، ٢٠١١م، ج٣١، ص٦٦-٦٧)، لكنه في هذه المرة لم يستمر طويلاً ، فقد عزل بعد مرور شهرين للمرة الأخيرة في سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م) وتولى مكانه القاضي عز الدين ابن الصائغ (الصفدي، ٢٠٠٠م، ج٧، ص٢٠٣)، تفرغ ابن خلكان في اواخر حياته بالتدريس في المدرسة النجيبية بدمشق، ثم درَّس بالمدرسة الأمينية ، مقابل مبلغ مقداره ثلاثمائة درهم (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٤، ص١٠)، واستمر في لقاءاته الثقافية بمن يتردد إليه من العلماء والفضلاء والأدباء (الكتبي، ١٩٧٣م، ج١، ص١١١) ، الى أن توفي في ٢٦ من شهر رجب يوم السبت سنة (٦٨١هـ/١٢٨٢م)، في المدرسة النجيبية بدمشق (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٤، ص٩)، وكان قد بلغ من العمر ثلاث وسبعون سنة (ابن تغري بردي، ١٩٩٢م، ج٧، ص٣٥٤)، ودُفن يوم الأحد السابع والعشرين من الشهر بسفح جبل قاسيون بدمشق ، بعد أن أُقيمت عليه الصلاة في جامع دمشق (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٤، ص٩).

**أثر الواقع السياسي على عصر إبن خلكان:**

عاش ابن خلكان أربع وسبعون سنة تمتد بين السنوات ( ٦٠٨-٦٨٢هـ/١٢١٠-١٢٨٢م)، وهي مدة ليست بقليلة ، قضى أغلبها في بلاد الشام ومصر، وقضى أقلها في إربل وتحديداً بين السنوات (٦٠٨/٦٢٦هـ/١٢١٠- ١٢٢٨م) (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٤، ص٩-١٠)، وبذلك كان معاصراً للمدة الأخيرة من حكم الأسرة الزنكية بالموصل (٥٢١-٦٣١هـ/١١٢٧-١٢٣٣م)، والشطر الثاني من حكم الدولة الأيوبية (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م)، والشطر الأول من دولة الممالك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)، وشهد ابن خلكان التحولات التاريخية، بما تحمله من تحديات وأحداث تاريخية كان شاهد عيان للعديد من مظاهرها او على اقل تقدير قريب ممن أرخ لهذه الدول الثلاثة من معاصريه أومن سبقه قليلاً.

ان الحديث عن هذه الحقبة التاريخية وتتبع أحوالها السياسية والثقافية له أهمية بهدف الوقوف على العوامل المؤثرة في مجريات الأحداث من جهة ، فضلاً عن ثقافة المجتمع الذي نشأ وترعرع فيه إبن خلكان من جهة ثانية، وأثرها على حياته وثقافته واتجاهاته السياسية والفكرية في تأليف كتابه من جهة ثالثة، سيما ان كتابه ( وفيات الأعيان ) يضم تراجم وأحداث تاريخية لشخصيات مهمة عاصرت هذه الحقبة والتي من ضمنها شخصيات الأسرة الأيوبية التي كان لها تأثيراً على مجريات الأحداث، ولهذا فإن كتابه يعدُ مصدراً هاماً في دراسة أحوال ذلك العصر، كونه ابن هذه البيئة بكل ماتحملها من تنوع ثقافي وسياسي ومتغيرات توزعت في مدن بلاد الشام ومصر بدرجة خاصة بعد أن تراجعت قوة السلاجقة فيما بعد وبدأت بالضعف بعد وفاة السلطان ملكشاه الأول سنة ( ٤٨٥هـ/١٠٩٢م )، اذ انشغل أبناؤه وأحفاده في صراعات داخلية للسيطرة على الحكم، ولم تأتي سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٦م)، الا وكانت السلطة الموحدة للسلاجقة قد تفككت إلى خمس كيانات او اقطاعات متنافسة للمزيد حول التقسيمات الداخلية للسلاجقة ينظر الى ( زامباور، ١٩٨٠م، ٣٣٢-٣٣٥).

ومع استمرار الصراعات بين هذه الكيانات، رافقها ظهور نظام الأتابكيات، هو نظام نما وتطور وزادت قوتهم في ظل الدولة السلجوقية، وقد خول السلاجقة، الاتابكة سلطات واسعة، مما جعلهم في الغالب مستقلين لقاء الولاء للسلاطين (شاكر مصطفى، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٠٤)، فكانت خلال هذه الحقبة الزمنية حكمت الدولة الزنكية أو ( أتابكة آل زنكي ) الموصل والبلاد الشامية وديار الجزيرة الفراتية (٥٢١-٦٦٠هـ/١١٢٧-١٢٦٢م)

وتلك الديار مجتمعة كانت بالإضافة إلى ديار مصر محط رحال ابن خلكان صاحب هذه الدراسة ومسرحاً لتنقلاته، على أن هذه الديار لم تستمر زنكية خالصة طيلة حياته (شميساني، ١٩٩٠م، ج٦، ص٢-٣).

لعب الأمراء الزنكيين دوراً كبيرًا في مقاومة الغزو الصليبي المتواجد في بلاد الشام منذ سنة (٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م) أبان الحملة الصليبية الاولى (خليل، ١٩٨٥م، ص٣٧١)، اذ كان الصليبيون قد اسسوا أربع إمارات وهي: إمارة الرها وانطاكية (٤٩١هـ/١٠٩٧م) ومن ثم مملكة بيت المقدس (٤٩٢هـ/١٠٩٨م)، وإمارة طرابلس سنة (٥٠٢هـ/ ١١٠٩م) (رينسيمان، ١٩٨١م، ج١، ص٣١٩-٣٢٣)، فكان آق سنقر البرسقي الذي قتل سنة ( ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ) ومن بعده عماد الدين زنكي(٥٢١-٥٤١هـ/ ١١٢٨-١١٤٦م)، من أوائل من سعى الى استعادة هذه الإمارات الى المشرق الإسلامي، إذ تمكن عماد الدين زنكي من تكوين جبهة اسلامية موحدة واسترجاع إمارة الرها عام (٥٣٩هـ/١١٤٤م) (ابن الأثير، ١٩٦٣م، ص٣٢-٣٤).

وبالرغم من إنقسام دولتهم بعد وفاة عماد الدين زنكي الى قسمين: الأول في الموصل تحت حكم ولده الأكبر سيف الدين غازي ( ٥٤١-٥٤٤هـ/١١٤٦-١١٤٩م)، والقسم الثاني في حلب والمناطق التي كانت خاضعة لأبيهم في بلاد الشام تحت حكم ولده نورالدين محمود بن زنكي( ٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٣م)، إلا أنهم إستمروا في مقاومة الصليبيين (الجميلي، ١٩٧٧م، ص٥٩)، إذ نجد أن قوات الموصل إشتركت مع قوات حلب في التصدي للحملة الصليبية الثانية ضد دمشق سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م)، عند حصار دمشق (ابن الأثير، ١٩٦٣م، ص٨٧-٨٩)، التي كان يحكمها أسرة آل بوري وهم من سلاجقة بلاد الشام، واستمر نورالدين محمود في تحقيق مشروع والده وهو توحيد الجبهة الإسلامية والوقوف بوجه القوة الصليبية في المنطقة الى ان ضم دمشق الى حكمه سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م )، واسترجاع حصن حارم من أيدي الصليبيين سنة ( ٥٥٩هـ/١١٦٤م ) (ابو شامة، ١٩٩٧م، ج١، ص٤١٥).

وخلال حقبة حكم نور الدين، وخاصة في النصف الأخير منها، بدأت ملامح شخصية القائد الإسلامي صلاح الدين الأيوبي بالظهور خاصةً منذ منتصف خمسينات القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، والذي كان من ضمن قيادات نورالدين زنكي (جب، ١٩٩٦م، ص ١١٧)، وتمكن صلاح الدين من إكمال مشروع كل من عماد الدين زنكي الدين وابنه نور الدين في توحيد الجبهة الشامية مع المصرية للتصدي للحملات الصليبية، إذ شارك صلاح

الدين في الحملة الثانية على مصر مع عمه أسدالدين شيركوه عام (٥٦٢هـ/١١٦٦م)، وبعد وفاة عمه أسد الدين سنة(٥٦٤هـ/١١٦٨م)، حل محله في مصر وأصبح وزيراً للعاضد الفاطمي (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٧، ص١٥٠-١٥٥)، ومن ثم اعلن نفسه حاكماً على مصر مع نهاية الحكم الفاطمي، وتابعاً لنورالدين زنكي في حلب، وخطب الخطبة للخلافة العباسية سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) (ابن شداد، ١٩٩٤م، ص٧٨-٨١).

بعد وفاة نور الدين عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م)، أصبح حكم صلاح الدين على مناطق مختلفة من التي كانت تحت سيطرة نور الدين في بلاد الشام بعد أن أخذها من البيت الزنكي، إذ ان ولده الصالح إسماعيل (ت:٥٧٧هـ/١١٨١م) كان صغير السن، كما يقول ابن شداد (ت: ٦٣٢هـ/١٢٣٤م): " كان طفلاً لاينهض بأعباء الملك" (ابن شداد، ١٩٩٤م، ص٩٢)، و إنحسرت راية الزنكيين في بلاد الشام سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م) فيما بعد، بوفاة ابن نورالدين الصالح إسماعيل (ابن الأثير، ٢٠١٢م، ج٩، ص٤٥٤، ٤٧٢)، لترتفع مكانها راية الأيوبيين، إذ سعى صلاح الدين جاهداً على توحيد الجبهة الإسلامية محاولاً ضم ممتلكات من سبقه ضمن دولته الحديثة، وإكمال ما عمل به كل من عماد الدين زنكي وابنه نورالدين في مواجهة الغزو الصليبي.

سيطر صلاح الدين على أملاك آل زنكي في البلاد الشامية ، إلا أنه استبقى على عدد من أبناء البيت الزنكي في بعض البلاد الجزرية شرط أن يكونوا تحت إمرته (شميساني، ١٩٩٠م، ج٦، ص٦)، إذ استطاع ان يضم الى دولته كل من دمشق، وحمص، وحماة ، وبعلبك سنة (٥٧٠هـ/١١١٤م) (ابن الأثير، ٢٠١٢م، ج٩، ص٤٠٤-٤٠٧)، كانت نتيجتها أن توجت جهود صلاح لإستعادة بيت المقدس من تحت أيدي الصليبيين عام (٥٨٣هـ/١١٨٧م) بعد الإنتصار عليهم في المعركة الشهيرة حطين سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م) (ابن شداد، ١٩٩٤م، ص١٢٦-١٣١)، التي ظلت في أيديهم قرابة تسعين عاماً، وضعف الصليبيين في بلاد الشام بشكل عام، مما أتاح له استرجاع العديد من المدن والحصون والقلاع تباعاً من تحت سيطرتهم (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٢م، ج٢١، ص٣١٦)، كما بذل صلاح الدين جهودًا كبيرة في مواجهة الحملة الصليبية الثالثة عام (٥٨٥-٥٨٨هـ/١١٨٩-١١٩٢م)، والتي جاءت كرد فعل على تحرير بيت المقدس (ليونز، جاكسون، ١٩٨٨م، ص٣٤٤)، وحشدت البلاد الأوربية جيوشها من فرنسا وألمانيا وإنكلترا، وفرضت حصارًا طويلًا على مدينة عكا التي على الساحل، لمدة سنتين تقريباً، كان من نتيجتها سقوط هذه المدينة في ايدي الصليبيين سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م) (الاصفهاني، ص٣٦٠).

ثم عقد الصلح بين الطرفين بعد مفاوضات بين ريتشارد قلب الأسد والملك العادل أخو صلاح الدين الايوبي متمثلاً بصلح الرملة سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م) (الاصفهاني، ص٣١٤؛ عاشور، ١٩٦٤م، ص٣٤).

توفي صلاح الدين الأيوبي بعد هذا الصلح سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م)، وقد قسمت بلاده قبل وفاته على أولاده وبعض افراد البيت الأيوبي، فكانت دمشق من حصة ولده الملك الأفضل (٥٨٩-٥٩٢هـ/١١٩٣-١١٩٦م)، ومصر لولده الملك العزيز عثمان ( ٥٨٩-٥٩٥هـ/١١٩٣-١١٩٩م)، وحلب لولده الآخر الملك الظاهر غازي (٥٨٩-٦١٣هـ/١١٩٣-١٢١٦م)، والشوبك والبلاد الشرقية لأخيه الملك العادل( ٥٨٩-٦١٥هـ/١١٩٣-١٢١٩)، وتقسيمات أخرى، للمزيد حول تقسيمات أملاك الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين ينظر الى: (ابن واصل، ١٩٥٧م، ج٣، ص٣-٥).

بعد وفاة صلاح الدين بدأت جملة من الصراعات داخل البيت الأيوبي مبكرًا، اذ دب الخلاف بين أبناء صلاح الدين انفسهم من جهة وعمهم الملك العادل من جهة ثانية، و من جهة أخرى بين ابناء العادل انفسهم بعد وفات والدهم سنة (٦١٥هـ/١٢١٩م) (بروكلمان، ١٩٧٧م، ص٣٦١)، وعاصر ابن خلكان بعضها وشاهدها واشار اليها، وكان يحاول تقييم هذه المواقف وتوثيقها، منذ نشأته وتنقلاته من إربل والموصل وبلاد الجزيرة والشام ومصر منذ شبابه أما من مصادرها، أو من شهود عيان، أو من مذكرات ورسائل هنا وهناك، إذ ظلت سياسة المد والجزر والإنتقال الخارجي، وتنافس الأمراء فيما بينهم في بلاد الشام والجزيرة والموصل كانت سمة ذلك العصر ،وهي حاضرة في ذاكرة إبن خلكان على الرغم من أنه لم يدرك أجزاء منها سيما عصر صلاح الدين الأيوبي أو عصر الدولة الزنكية إلا أنه إبن تلك البيئة المتنوعة في مشاربها وفي خطابها السياسي (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٥، ص٣٣١-٣٣٣)، جرى نزاع بين الملك العزيز وأخيه الملك الأفضل حول السيطرة على مدينة القدس، إذ انحاز عمهما الملك العادل إلى جانب الأفضل في هذا الصراع، ولاحقًا تقرب العادل إلى العزيز، مما أدى إلى التوصل إلى صلح بين العزيز وأخيه الأفضل، استمر العزيز في حكم مصر بمساعدة عمه العادل، إلى أن توفي سنة (٥٩٥هـ/١١٩٨م) ، بعد فترة حكم استمرت خمس سنوات وبضعة أشهر(المقريزي، ١٩٩٧م، ج١، ص٢٣١-٢٤١، ص٢٥٧)، وخلف من بعده وصاية بهاء الدين قراقوش (ت:٥٩٧هـ/١٢٠٠م) على ابنه الملك المنصور (ت: ٦٢٠هـ/١٢٢٣م) الذي لم يكن يتجاوز التاسعة من عمره، ونتيجةً لذلك بدأت من جديد الإضطرابات بين عمه الأفضل والملك العادل انتهت بسيطرة العادل على مصر سنة (٥٩٦هـ/١١٩٩م)، معلناً نفسه وصياً على الملك المنصور

(ابن تغري بردي، ١٩٩٢م، ج٦، ص١٥٦)، ومن ثم حصل على تقليد رسمي من الخليفة العباسي المستعصم بالله (٦٠١-٦٥٦هـ/١٢١١-١٢٥٨م) ببغداد، في تولي حكم مصر وبلاد الشام والبلاد الجزرية (السيوطي، ١٩٦٧م، ج٢، ص٢٢)، فقام بتوزيعها على اولاده، بعد أن عينهم ملوكاً على تلك الأقاليم ومنهم الكامل حكم مصر ، والمعظم عيسى حكم الشام ، والأشرف حكم الولايات الشرقية ، والأوحد حكم ميافارقين (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٥، ص٧٦)، توفي العادل سنة (٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، وخلف في الحكم من بعده ابنه الملك الكامل، الذي عرفت فترة حكمه بالصراع مع إخوته كل من الملك الفائز، والأشرف موسى، والمعظم عيسى هذا من جهة، وبالكفاح ومقاومة الصليبيين من جهة أخرى للمزيد حول هذه الصراعات ينظر الى: (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٢م، ج٢٢، ص٣٤٦)، وقد آلت اليه الأمور بشكل نهائي بعد موت اخيه الفائز، وفي عهده تم تسليم بيت المقدس الى الصليبيين بعد اتفاق بينه وبين الملك الألماني فردريك الثاني (٦١٦-٦٣٦هـ/١٢٢٠-١٢٥٠م) (ابن العديم، ١٩٩٦م، ص٤٧٥)، واخذت الدولة الأيوبية في الضعف بعد وفاته، وبدأ عهد جديد من الإنحلال (النعيمي، ١٩٩٠م، ج٢، ص١٣٠)، واستمر الصراع في البيت الأيوبي، قام ولده الصالح نجم الدين ايوب (ت:٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، بالزحف الى دمشق ومن ثم مصر قادماً من بلاد الجزيرة، بمساعدة زوجته شجرة الدر، ومناصرة الأمراء الأيوبيين في مصر، و ابن عمه الملك الناصر فيما بعد، سرعان ما اتفق الأمراء الأيوبيون مع الصالح نجم الدين أيوب، وتمكنوا من القبض على أخيه العادل الثاني الذي كان قد سيطر على الديار المصرية (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٥، ص٨٢)، وسجنه في القلعة لمدة ثماني سنوات، ومات وهو بالإعتقال عن عمر ناهز الحادية والثلاثين، بعد أن استمر حكمه سنتين وعدة أيام، وذلك في سنة (٦٣٧هـ/١٢٤٠م) ، وبذلك تسلم الصالح نجم الدين السلطة في مصر (الدواداري، ١٩٧٢م، ج٧، ص٣٣٩، ص٣٦٣)، كانت أولى التحديات في عهده تمرد فرق الجيش الأيوبي عليه، مما دفعه إلى تشكيل جيش جديد فقام بشراء عدد كبير من المماليك الأتراك، وضمهم إلى دائرته المقربة، كما عمل على القضاء على معظم أمرائه السابقين، واستبدلهم بالقادة الأتراك، يقول ابن تغري بردي (ت:٨٧٤هـ/١٤٦٩م): "والملك الصالح هذا هو الذي أنشأ المماليك الأتراك وأمرهم بديار مصر ... "(ابن تغري بردي، ١٩٩٢م، ج٦، ص٣١٩)، و جابه خطر الصليبيين واعاد تحرير بيت المقدس مرةً ثانية وذلك في سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م)، توفي الصالح نجم الدين بالمنصورة سنة (٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، وكانت مدة ملكة لمصر تسع سنين وثمانية أشهر، وكُتم خبر وفاته بأمر زوجته شجرة الدر (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٥، ص٨٦)، حتى تم استدعاء ولده الملك المعظم تورانشاه من حصن كيفا وحضر مصر وتسلم عرش ابيه بطلب من زوجة ابيه شجرة الدر (المقريزي، ١٩٩٧م، ج١، ص٤٥٩)، التي دعت كبار الأمراء لأداء يمين السلطة له،

وبعد شهرين فقط من توليه السلطة وصل الصليبيون إلى المنصورة في حملة صليبية سابعة سنة ( ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) التي قادها لويس التاسع ملك فرنسا (قاسم عبدة، ١٩٩٠م، ص١٥٧)، وتقدموا باتجاه القاهرة ، لكنه بفضل مهارة تورانشاه في إدارة القتال تمكن من دحر الصليبيين وتحقيق النصر ، إلا أنه سرعان ما أحتجب عن رجال الدولة والعامة، وأبعد الكثير منهم ، وتنكر لزوجة أبيه جميلها في حفظ العرش له، فوثب عليه المماليك فقتلوه وكان ذلك في سنة ( ٦٤٨هـ/١٢٥٠م) (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٢م، ج٢٢، ص٤١٢-٤١٧)، وبقتله انتهى حكم آخر ملوك بنى أيوب في مصر (ابن تغري بردي، ١٩٩٢م، ج٦، ص٣٦٤)، اتسم عهد الأيوبيين المتأخرين بشكل عام بالمنافسة والمنازعة فيما بينهم، حتى وقف بعضهم إلى جانب الأعداء الصليبيين للإيقاع بأخيه لينتزع ملكه، وإن أصدق وصف يجمعهم قول القاضي الفاضل(ت: ٥٣٦هـ/١١٤١م): " وأما هذا البيت ؛ فإنَّ الآباء منه اتفقوا ، فملكوا ، وإنَّ الأبناء منهم اختلفوا، فهلكوا وإذا غرب نجم فما في الحيلة تشريقه، وإذا بدا خرق ثوب فما يليه إلا تمزيقه، وهيهات أن يسد على قدر طريقه، وقد قدر طروقه، وإذا كان الله مع خصم على خصم، فمن كان الله معه فمن يطيقه" (ابن خلكان، ٢٠١٠م، ج٣، ص٤٢٠).

اما مصر فبعد مقتل المعظم تورانشاه، نادى الأمراء الكبار من المماليك بسلطنة شجرة الدر عليهم سنة ( ٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، وخطب بإسمها على منابر مصر بعد الخليفة العباسي ، ونقش إسمها على السكة (النويري، ٢٠١١م، ج٢٩، ص٣٦٢)، وان يكون الأمير عزالدين إيبك (٦٥٥هـ/١٢٥٧م)، مقدماً للعسكر(ابن تغري بردي، ١٩٩٢م، ج٧، ص٣، ص١٣)، فبذلك غدا المماليك اصحاباً للحل والعقد في مصر ، وأصحاب طموح سياسي، كان الموقف الأيوبي في بلاد الشام رافضاً لهذا الحكم الجديد بمصر ، بإعتبارهم أصحاب الشرعية في حكم هذه البلاد، وراحوا يتهيؤون لاسترجاعها، ولهذا فإن الملك الأيوبي الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب، حاول القيام بغزو مصر والقضاء على الحكم المملوكي فيها سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) والسنوات التي تلتها، لكنه ارتد خائباً أمام ضربات المماليك القوية (ابو الفداء، ج٣، ص١٨٤، ص١٩٨)، ويقال أن آخر الخلفاء العباسيين المستعصم بالله (٦٠١-٦٥٦هـ/١٢١١-١٢٥٨م)، لم يرضَ بحكم إمرأة على مصر فأرسل يقول لهم : " إن كانت الرجال قد عدمت عندكم ، فأعلمونا حتى نسير اليكم رجلا " (المقريزي، ١٩٩٧م، ج١، ص٤٩٣)، ولحل هذه المشكلة تزوجت شجرة الدر من عزالدين ايبك وتنازلت له عن الحكم (الدواداري، ١٩٧٢م، ج٨، ص٢٠)، ولأن ايبك حاول الزواج من ابنة بدرالدين لؤلؤ (ت:٦٥٧هـ/١٢٥٨م)، صاحب الموصل تغيرت عليه شجرة الدر وقتلته سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م)، وهي الأخرى قُتلت بتحريض من أم عز الدين ايبك في نفس السنة

(ابن تغري بردي، ١٩٩٢م، ج٦، ص٣٧٨، ج٧، ص١٣)، وهكذا انتهى الحكم الأيوبي نهائياً في مصر.

بعد أن وثب المماليك على حكم مصر بشكل نهائي عام (٦٥٥هـ/١٢٥٧م)، وكما جرت العادة أن يكون لسلطان مصر منذ أيام صلاح الدين هيمنة على بقية الملوك والأمراء في بلاد الشام، فاصبح لهم تطلعات على بلاد الشام فظهرت شخصية سيف الدين قطز(٦٥٧-٦٥٨هـ /١٢٥٩-١٢٦٠م)، والظاهر بيبرس البندقداري (ت:٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، وسار بيبرس البندقداري الى جهة غزة (ابو الفداء، ج٣، ص٢٠٠)، وفي المدة التي شهدت انتقال السلطة في مصر والشام من بني أيوب إلى الزعماء من مماليكهم (قطز و بيبرس)، ومع الحروب التي جرت أثناءها بين الطرفين، شهدت هذه الفترة بالذات اشتداد الهجمة التترية المغولية بزعامة الأيلخان الأكبر هولاكو(ابن تغري بردي، ١٩٩٢م، ج٧، ص٤٧-٥١)، فبعد أن أسقط هذا الغازي الخلافة العباسية في بغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، تطلع إلى إسقاط ممتلكاتها في الجزيرة والشام وأخذ بلداً تلو الآخر الى ان وصل حلب والشام (المقريزي، ١٩٩٧م، ج١، ص٥١١-٥١٤)، وتحالف معه كل من الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب و الملك السعيد ابن الملك العزيز الأيوبي الذي تولى الحكم بعد وفاة والده الملك العزيز عثمان في سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٦م)، لقاء حفظهم على حكمهم، لكن في الأخير غدر بهم هولاكو وقتلهم (المقريزي، ١٩٩٧م، ج٣، ص٥٢٣)، ولئن استطاع النجاح في الأولى ببسط سيادته على عاصمة الخلافة، فإنه في المقابل، هزم وقادته في الثانية أثر الوقعة المميتة التي حلت بهم جميعاً في المعركة الفاصلة عين جالوت سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) للمزيد حول هذه المعركة ينظر الى: (ابن كثير، ١٩٩٩م، ج١٧، ص٣٩٩)، بقيادة سيف الدين قطز عام (٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، التي كانت نقطة حاسمة في تاريخ العلاقات الأيوبية المملوكية، فبعد انتصارهم على المغول في هذه المعركة وقعت بلاد الشام بأيدي المماليك، وأصبحت جزئا من السلطنة المملوكية، وأعلن بقايا الملوك الأيوبيين خضوعهم لهذه السلطة بشكل نهائي، وأبقى المماليك بعض الملوك الأيوبيين في ممالكهم كنواب لهم، منهم الملك المنصور صاحب حماة (ابن تغري بردي، ١٩٩٢م، ج٦، ص٢٥١، ج٧، ص٢٠١)، والملك الأشرف موسى صاحب حمص (المقريزي، ١٩٩٧م، ج٣، ص٥٣٦)، وكان الملك المغيث عمر(ت:٦٦١هـ/١٢٦٣م) صاحب الكرك آخر الملوك المناوئين للسلطة المملوكية في الشام الذي بقي محتفظا بمملكته ومستمرا على موقفه العدائي للمماليك الى سنة (٦٦١هـ/١٢٦٣م)، إذ تمكن فيها السلطان الظاهر بيبرس من اعتقاله ومن ثم قتله في نفس السنة (المقريزي، ١٩٩٧م، ج٣، ص٢١٦).

كان ابن خلكان قريبا من تلك الاحداث التي عصفت بالبلاد الا انه لم يورد شيئا يذكر عن احداث الحقبة المملوكية لاسباب ربما تتعلق بتذبذب موقف المماليك احيانا ممن اعتبرو ضمن بقايا العهد الايوبي ،اذ تمكن الظاهر بيبرس، الذي تولى الحكم بعد مقتل قطز سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، من إعادة توحيد مصر والشام تحت راية واحدة، وفي فترة حكمه وردت أنباء أثناء وجوده في دمشق عن زحف جديد قامت به طلائع التتار على بلاد الشام ، فبادر بالتوجه اليهم، غير أن التتار فروا قبل مواجهته، وفي سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م)، انتصر الظاهر بيبرس على الصليبيين في مدينتي قيسارية وأرسوف التان على ساحل بحر الشام (ياقوت، ج١، ص١٥١، ج٤، ص٤٢١)، وتم استدعاء ابن خلكان من دمشق، بصفته قاضي قضاة الشام، مع عدد من العلماء والأئمة العدول ووكيل بيت المال، بالإضافة إلى جماعة من الفقهاء، من أجل الشهادة على تثبيت تمليك الإقطاعات التي منحها الظاهر بيبرس للأمراء تقديرًا لجهودهم في الجهاد ضد الأعداء، توجه الجميع إلى مدينة غزة، حيث تم تكليف ابن خلكان، بصفته قاضيًا، بكتابة سندات التمليك التي وُزعت على الأمراء في ذلك الوقت، ويُروى أن الظاهر بيبرس كان معجبًا بفصاحة ابن خلكان وبلاغته، فأحسن إليه وخلع عليه تكريمًا له (الدواداري، ١٩٧٢م، ج٨، ص١٠٨-١١٤)، وظلت بلاد الشام موحدة طوال فترة حكمه، حتى وفاته سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) (الكتبي، ١٩٨٠م، ج٢١، ص١٣٥).

خلف الظاهر بيبرس ابنه محمد السعيد، لكنه لم يستمر في الحكم لانه خلع بعد سنتين، وتولى بعده أخوه العادل سلامش السلطنة في سنة (٦٧٨هـ/١٢٧٩م)، وهو لا يزال في السابعة من عمره، خلال هذه الفترة، استغل المنصور قلاوون الوضع واستبد بالأمور، فقام بخلع العادل سلامش بعد مائة يوم فقط من توليه الحكم، ونفاه إلى الكرك (الذهبي، ١٩٩٩م، ج٢، ص٢٠٠)، يُعتبر المنصور قلاوون من أبرز السلاطين الذين ساهموا في توطيد سلطة المماليك في دمشق، على الرغم من تمرد نائبه، الأمير سنقر الأشقر، الذي أعلن نفسه ملكًا على دمشق بعد حصوله على تأييد الأمراء والقضاة والأعيان وزعماء المدينة، وردًا على ذلك، أرسل المنصور قلاوون جيشًا قويًا تمكن من إلحاق الهزيمة بجيوش سنقر، مما أعاد وحدة مصر والشام تحت سلطته مرة أخرى (العمري، ٢٠٠٢م، ج٢٧، ص٤٢٧)، وكان من القضاة الذين اشتركوا في افتاء شرعية الأمير سنقر الاشقر شمس الدين ابن خلكان محور دراستنا وبسبب ذلك تم عزله في المرة الثانية من منصبه قاضي القضاة وذلك في نهايات سنة (٦٧٨هـ/١٢٧٩م) (ابن عبدالظاهر، ١٩٦١م، ص٦٢، ص٦٨).

أما مايتعلق بمظهر آخر من مظاهر عصر إبن خلكان ولاسيما ماله من سوء علاقة بين الأيوبيين والزنكيين، إذ تأزمت العلاقات بين صلاح الدين الأيوبي وأبناء البيت الزنكي في بلاد الشام والموصل خاصةً وحاصر الموصل على دفعات، كما تدهورت العلاقات بين الأيوبيين والزنكيين بعد عام (٦٠٧هـ/١٢١٠م) إذ اتسمت بالتوتر والصراع المستمر، خاصة بعد وفاة نورالدين أرسلان شاه سنة (٦٠٧هـ/١٢١٠م)، مع وفاته تراجعت قوة الزنكيين في الموصل وضعف تأثيرهم في العلاقات السياسية نتيجة عاملين رئيسيين: الأول صغر سن الأمراء الذين تولوا الحكم بعده، والثاني هيمنة بدر الدين لؤلؤ على شؤون الدولة الأتابكية، واستمر هذا الوضع حتى نهاية حكم آخر حكام الأتابكة، ناصر الدين محمود (٦١٦-٦٣٠هـ/١٢١٩ -١٢٣٣م) (الجميلي، ١٩٧٧م، ص١٤٨-١٨٥).

وظلت اراضيهم تحت السيطرة الزنكية، متنقلة بين الاستقلال أحيانًا والخضوع لبني أيوب أحيانًا أخرى، مع أن الإمارة الزنكية وحكم الأتابكة إستمر أكثر من حكم الأيوبيين ب أربعة عشر عاما، وذلك حتى حدود سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، عندما بسط المغول الإيلخانيون نفوذهم عليها، استمر هذا النفوذ لفترة طويلة، الى ما بعد وفاة ابن خلكان، متجاوزًا سنة (٧١٠هـ/١٣١٠م)، اذ بدأ هذا النفوذ بالانحسار تدريجيًا أمام صعود قوة وهيبة السلطان المملوكي في المنطقة، الذي نجح في مد نفوذه إلى تلك الديار، وحظي بدعم ساستها والمتنفذين فيها، حيث خطب باسمه على منابرها (القلقشندي، ١٩١٨م، ج٨، ص٣٥٧-٣٥٨).

تلك كانت ملامح الجو السياسي وتأثيرها بشكل عام في البلاد الجزرية والشامية ومصر، التي شكلت ملامح ذلك العصر الذي سبق ولادة إبن خلكان أو الحقبة التي عاش فيها.

## النتائج

**وثمة نتائج خرجت بها الدراسة كان من بينها:**

١- تناول البحث حياة وسيرة المؤرخ إبن خلكان، وتنقلاته بين المدن والممالك لطلب العلم أو لإشغال وظائف علمية أو إدارية، وعلى الرغم من أن والده توفي وهو صغير الا أنه كان له الفضل في تكوينه العلمي، ولا ننسى تأثير دور عائلته العلمية بنو خلكان، المشهورين خاصةً في إربل، مما كان له أثر كبير في علاقاته ببلاد الشام ومصر وولعبت دوراً في رحلاته العلمية وفي تكوينه كمؤرخ.

٣- تأثر ابن خلكان بالواقع السياسي القائم في مناطق الموصل وبلاد الشام ومصر في عصره، لكن ذلك لم يمنعه من تقديم عمل تاريخي موسوعي مهم، رغم هذا الشد في مدن اربل والموصل واقليم الجزيرة وبلاد الشام وهي مناطق نفوذ بقايا الايوبيين ووجود الاتابكة في الموصل حتى عام ٦٥٨ هجرية اي كان ابن خلكان حينها يبلغ خمسين سنة كلها اسهمت في تحديد ملامح الواقع السياسي التي القت بظلالها على عصر ابن خلكان الذي بدا يضع لنفسه حدودا مناسبة من الجميع،

٣- امتازت علاقته بالقبول عند بقايا الزكيين فضلا عن الايوبين ثم عن القوى الصاعدة التي تمثلت بوصول المماليك، هذا التنوع السياسي وهذا الموزائيك في تناوب القوى السياسية والتنافس الشرس احياناً، حاول ابن خلكان ان ينأى بنفسه ما امكنه ذلك الامر لذا نجده يتنقل بحرية في هذه البلاد، ويحضى بقبول عند كوكبوري في مسقط رأسه اربل، ثم امتلاكه كاريزما خاصة عند البيت الايوبي، والمماليك فيما بعد اذ نقل العديد من مشاهداته لعصر سلاطينهم بعد ان مكث بينهم في بلاد الشام ومصر، وكل المؤشرات التي صبغت ذلك المشهد السياسي وذلك العصر بعدم الاستقرار السياسي وتنوع القوى وقدرة ابن خلكان على أستيعاب تلك المحن احيانا وان يبقى على مسافة واحدة من الجميع علما انه تلقى العلوم الدينية من حديث وفقه في هذه الاماكن و شغل مهنة التدريس في مدارسهم ثم تولى القضاء في اكثر من مكان دليل وعيه السياسي من ازمات عصره.

٤-استطاع ابن خلكان استيعاب التحديات الخارجية التي رافقت الغزو المغولي والصليبي لبلاد الشام ومصر فبدا مترفعا عن ذكر مشاكل وتفاصيل قد تسيء لحكم الاسر التي عاصرها ،ليكتفي بالتلميح احيانا الى موقف هنا وهناك .

**قائمة المصادر والمراجع:**


- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، (١٩٦٣م)، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق : عبد القادر احمد طليمات، دار الكتب الحديثة ، القاهرة.
- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، (٢٠١٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت.
- النويري، احمد بن عبدالوهاب بن محمد القرشي، (٢٠١١م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، الطبعة الأولى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
- إبن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، (٢٠١٠م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

- العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي، (٢٠١٠م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي، (١٩١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب الخديوية، القاهرة.
- الكتبي، صلاح الدين احمد بن شاكر بن عبدالرحمن، (١٩٧٣م)، فوات الوفيات، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.
- ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، (١٩٩٩م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر للطباعة والنشر، الرياض.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (١٩٩٣م )، طبقات الشافعيين، تحقيق: أحمد عمر هاشم و محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، د.م.
- أبو الفداء، عماد الين اسماعيل بن علي بن محمود، المختصر في أخبار البشر، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة.
- المقريزي، ابو العباس تقي الدين احمد بن على بن عبدالقادر، (١٩٥٨م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة.
- الأسنوي، جمال الدين عبدالرحيم بن حسن، (١٩٨٧م)، طبقات الشافعية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين، (١٩٩٢م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي و عبدالفتاح محمد الحلو ، الطبعة الأولى، دار هجر للطباعة والنشر، د.م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبدالله، (٢٠٠٠م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت.
- الذهبي ، شمس الدين ابي عبدالله محمد بن احمد، (١٩٩٩م)، دول الإسلام ، تحقيق : حسن اسماعيل فروة، الطبعة الأولى، دار صادر ،بيروت.
- الذهبي، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد، (١٩٩٣م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق : عمر عبدالسلام التدمري ، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت.

- النعيمي، عبدالقادر بن محمد الدمشقي، (١٩٩٠م)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن العديم، عمر بن احمد بن هبة الله بن ابي جرادة العقيلي، (١٩٩٦م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق : خليل المنصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن العبري، ابو الفرج غريغوريوس يوحنا ابن هارون، (١٩٩٢م)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي ، الطبعة الثالثة، درا الشرق، بيروت.
- ابن المستوفي، المبارك بن احمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الأربلي، (١٩٨٠م)، تاريخ اربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، دار الرشيد للنشر، بغداد.
- العيني، بدر الدين محمود، (٢٠١٠ م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
- ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الصالحي الدمشقي الحنفي، (١٩٥٦م)، قضاة دمشق الثغر البسام في ذكرى من ولى قضاء الشام، تحقيق:صلاح الدين المنجد، الطبعة الأولى، مطبعة الترقي، دمشق.
- الدواداري، ابو بكر بن عبدالله بن ايبك ، (١٩٧٢م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور، د.ن، القاهرة.
- ابن عبدالظاهر، عبدالله بن رشيد الدين، (١٩٦١م)، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، الطبعة الأولى، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة.
- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، (١٩٩٦م)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الدمشقي، (١٩٩٧م)، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: ابراهيم الزيبق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- العماد الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد، (د.ت)، الفتح القسي في الفتح القدسي، الطبعة الأولى، دار المنار، د.م.
- مجهول، (١٩٨٦م)، تاريخ الرهاوي مجهول، تحقيق: البير أبونا، مطبعة شفيق، بغداد.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر، (١٩٦٧م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، الطبعة الأولى، دار احياء الكتب العربية، القاهرة.

- الكتبي، محمد بن شاكر، (١٩٨٠م)، عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر و نبيلة عبدالمنعم، د.ن، بغداد.
- ابن الفوطي، كمال الدين عبدالرزاق بن احمد بن محمد، (١٩٨٧م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، دار الفكر الحديث، بيروت.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان،تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف، (١٩٩٢م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قز أوغلي بن عبدالله، (٢٠١٢م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، الطبعة الأولى، الرسالة العالمية، دمشق.
- ابن شداد، بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع، (١٩٩٤م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الجميلي، رشيد عبد الله، (١٩٧٧م)، دولة الاتابكة بعد عماد الدين زنكي (٥٤١-٦٣١هـ)، ط١، بيروت دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.م.
- زامباور، (١٩٨٠م)، الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة: زكي محمد حسن وآخرون، دار الرائد العربي، بيروت.
- شميساني، حسن، (١٩٩٠م)، اعلام مؤرخي العرب والإسلام، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- جاسم، خليل ابراهيم، (١٩٨٩م)، منهج ابن خلكان في وفيات الأعيان، إطروحة دكتوراه منشورة مقدمة: الى مجلس كلية الآداب جامعة الموصل.
- رئسيمان، ستيفن، (١٩٨١م)، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت.
- عاشور، سعيد عبدالفتاح، (١٩٦٤م)، أضواء جديدة على الحروب الصيبية، دار القلم، القاهرة.
- مصطفى، شاكر، (١٩٩٨م)، في التاريخ الشامي، تقديم: حسن بطيخة، الطبعة الأولى، دار طلاس للدراسات للترجمة والنشر، د.م.
- خليل، عماد الدين، (١٩٨٥م)، عماد الدين زنكي، الطبعة الثانية، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل.

❖ قاســـم عبدة قاســـم، (١٩٩٠م)، ماهية الحروب الصـــليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون،الكويت.
❖ بروكلمان، كارل، (١٩٧٧م)، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة: نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ،الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، بيروت.
❖ ليونز وجاكســون، (١٩٨٨)، صــلاح الدين، ترجمة: علي ماضــي، تحقيق: نقولا زياد و فهمي سعد، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت.
❖ جب، السير هاملتون، (١٩٩٦م)، صلاح الدين دراسات في التاريخ الإسلامي، حررها: يوسف ايبش، الطبعة الثانية، بيسان للنشر والتويع والإعلام، بيروت.

**List of sources and references**

❖ Ibn al-Athir, Izz al-Din Abi al-Hasan Ali bin Abi al-Karm Muhammad bin Muhammad, (١٩٦٣ AD), The dazzling history of the Atabeg state, edited by: Abdul Qader Ahmad Tulaimat, Dar al-Kutub al-Hadithah, Cairo.
❖ Ibn al-Athir, Izz al-Din Abi al-Hasan Ali bin Abi al-Karm Muhammad bin Muhammad, (٢٠١٢ AD), Al-Kamil fi al-Tarikh, edited by: Omar Abdul Salam Tadmuri, Dar al-Kutub al-Arabi, Beirut.
❖ al-Nuwayri, Ahmad bin Abdul Wahhab bin Muhammad al-Qurashi, (٢٠١١ AD), Nihayat al-Arab fi Funun al-Adab, first edition, Dar al-Kutub wa al-Watha'iq al-Qawmiyyah, Cairo.
❖ Ibn Khallikan, Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim bin Abi Bakr, (٢٠١٠ AD), Deaths of Notables and News of the Sons of Time, edited by: Ihsan Abbas, Dar Sadir, Beirut.
❖ Al-Omari, Shihab al-Din Ahmad bin Yahya bin Fadlallah al-Qurashi, (٢٠١٠), Masalik al-Absar fi Mamalik al-Amsar, edited by: Kamil Salman al-Jabouri, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut.
❖ Al-Qalqashandi, Abu al-Abbas Ahmad bin Ali, (١٩١٨), Subh al-A'sha fi Sina'at al-Insha', Dar al-Kutub al-Khidawiyyah, Cairo.
❖ Al-Kutubi, Salah al-Din Ahmad bin Shaker bin Abdul Rahman, (١٩٧٣), Fawat al-Wafiyat, first edition, Dar Sadir, Beirut.
❖ Ibn Kathir, Imad al-Din Abu al-Fida Ismail bin Omar al-Qurashi al-Dimashqi, (١٩٩٩), Al-Bidayah wa al-Nihayah, edited by: Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, first edition, Dar Hijr for Printing and Publishing, Riyadh.

- Ibn Kathir, Abu al-Fida Ismail bin Omar bin Kathir al-Qurashi al-Basri then al-Dimashqi, (١٩٩٣ AD), Classes of Shafi'is, edited by: Ahmed Omar Hashim and Muhammad Zainhum Muhammad Azab, Library of Religious Culture, n.d.
- Abu al-Fida, Imad al-Ain Ismail bin Ali bin Mahmoud, A Summary of Human News, First Edition, Egyptian Husseiniya Press, Cairo.
- al-Maqrizi, Abu al-Abbas Taqi al-Din Ahmad bin Ali bin Abdul Qadir, (١٩٥٨ AD), Conduct to Know the States of Kings, edited by: Muhammad Mustafa Ziyadah and Saeed Abdul Fattah Ashour, Printing Press of the Authorship and Translation Committee, Cairo.
- al-Asnawi, Jamal al-Din Abdul Rahim bin Hassan, (١٩٨٧ AD), Classes of Shafi'is, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut.
- Al-Subki, Taj al-Din Abdul-Wahhab bin Taqi al-Din, (١٩٩٢), The Great Classes of Shafi'is, edited by: Mahmoud Muhammad al-Tanahi and Abdul-Fattah Muhammad al-Halu, first edition, Dar Hijr for Printing and Publishing, no date.
- Al-Safadi, Salah al-Din Khalil bin Aybak bin Abdullah, (٢٠٠٠), Al-Wafi bil-Wafiyat, edited by: Ahmad al-Arna'ut and Turki Mustafa, Dar Ihya al-Turath, Beirut.
- Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad, (١٩٩٩), The Countries of Islam, edited by: Hassan Ismail Farwa, first edition, Dar Sadir, Beirut.
- Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad, (١٩٩٣), History of Islam and the Deaths of Celebrities and Notables, edited by: Omar Abdul-Salam al-Tadmuri, first edition, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut.
- Al-Naimi, Abdul-Qader bin Muhammad Al-Dimashqi, (١٩٩٠), The Student in the History of Schools, edited by: Ibrahim Shams Al-Din, first edition, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut.
- Ibn Al-Adim, Omar bin Ahmed bin Hibat Allah bin Abi Jarada Al-Aqili, (١٩٩٦), The Cream of Aleppo in the History of Aleppo, edited by: Khalil Al-Mansour, first edition, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut.
- Ibn Al-Ibri, Abu Al-Faraj Gregorius Yuhanna bin Harun, (١٩٩٢), A Brief History of States, edited by: Anton Salehani Al-Yasoei, third edition, Dar Al-Sharq, Beirut.

- Ibn Al-Mustawfi, Al-Mubarak bin Ahmed bin Al-Mubarak bin Muhabb Al-Lakhmi Al-Arbili, (١٩٨٠), History of Erbil, edited by: Sami bin Sayyid Khamas Al-Saqqar, Dar Al-Rashid for Publishing, Baghdad.
- Al-Aini, Badr Al-Din Mahmoud, (٢٠١٠ AD), Aqd Al-Juman fi Tarikh Ahl Al-Zaman, edited by: Muhammad Muhammad Amin, National Library and Archives, Cairo.
- Ibn Tulun, Shams Al-Din Muhammad bin Ali bin Khumarawayh bin Tulun Al-Salihi Al-Dimashqi Al-Hanafi, (١٩٥٦ AD), Judges of Damascus, the Smiling Frontier in Memory of Those Who Held the Judiciary of the Levant, edited by: Salah Al-Din Al-Munajjid, first edition, Al-Tarqi Press, Damascus.
- Al-Dawadari, Abu Bakr bin Abdullah bin Aybak, (١٩٧٢ AD), Kanz Al-Durar wa Jami' Al-Ghurar, edited by: Saeed Abdel Fattah Ashour, DN, Cairo.
- Ibn Abdul-Zaher, Abdullah bin Rashid Al-Din, (١٩٦١ AD), Tashreef Al-Ayyam wa Al-Asr fi Sirat Al-Malik Al-Mansur, edited by: Murad Kamel, first edition, Arab Company for Printing and Publishing, Cairo.
- Ibn al-Wardi, Zain al-Din Omar bin Muzaffar, (١٩٩٦), History of Ibn al-Wardi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut.
- Abu Shama, Shihab al-Din Abdul-Rahman bin Ismail bin Ibrahim al-Maqdisi al-Dimashqi, (١٩٩٧), Al-Rawdatayn fi Akhbar al-Dawlatin al-Nuriyyah and al-Salahiyah, edited by: Ibrahim al-Zaybaq, first edition, Dar al-Risalah, Beirut.
- Al-Imad al-Isfahani, Muhammad bin Muhammad bin Hamid, (n.d.), Al-Fath al-Qasi fi al-Fath al-Qudsi, first edition, Dar al-Manar, n.d.
- Anonymous, (١٩٨٦), History of al-Rahawi, anonymous, edited by: Al-Bir Abuna, Shafiq Press, Baghdad.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din Abdul-Rahman bin Abi Bakr, (١٩٦٧), Hassan al-Muhadara fi Tarikh Misr wa al-Qahirah, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, first edition, Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyyah, Cairo.
- Al-Kutbi, Muhammad bin Shaker, (١٩٨٠), Uyun al-Tawarikh, edited by: Faisal al-Samar and Nabila Abdul-Moneim, DN, Baghdad.
- Ibn al-Futi, Kamal al-Din Abdul-Razzaq bin Ahmad bin Muhammad, (١٩٨٧), The Universal Incidents and Useful Experiences in the Seventh Century, Dar al-Fikr al-Hadith, Beirut.

- Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Abi Abdullah Yaqut bin Abdullah, Dictionary of Countries, edited by: Farid Abdul-Aziz al-Jundi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut.
- Ibn Taghri Bardi, Jamal al-Din Abi al-Mahasin Yusuf, (١٩٩٢), The Shining Stars in the Kings of Egypt and Cairo, edited by: Muhammad Hussein Shams al-Din, first edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut.
- Sabt Ibn al-Jawzi, Shams al-Din Abi al-Muzaffar Yusuf bin Qaz Oghli bin Abdullah, (٢٠١٢), Mirror of Time in the Histories of Notables, edited by: Muhammad Barakat and others, first edition, Al-Risalah Al-Alamiyah, Damascus.
- Ibn Shaddad, Baha al-Din Abu al-Mahasin Yusuf bin Rafi, (١٩٩٤), The Sultanic Anecdotes and the Yusufi Virtues, edited by: Jamal al-DinSecond Edition, Bissan for Publishing, Distribution and Media, Beirut.
- Al-Jumaili, Rashid Abdullah, (1977 AD), The State of the Atabegs after Imad al-Din Zangi (541-631 AH), 1st ed., Beirut, Dar al-Nahda al-Arabiya for Printing and Publishing, no date.
- Zambauer, (1980 AD), Genealogies and Ruling Families in Islamic History, translated by: Zaki Muhammad Hassan and others, Dar al-Raed al-Arabi, Beirut.
- Shamisani, Hassan, (1990 AD), Notable Historians of the Arabs and Islam, first edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut.
- Jassim, Khalil Ibrahim, (1989 AD), Ibn Khallikan's Approach to the Deaths of Notables, published doctoral dissertation submitted to: the Council of the College of Arts, University of Mosul.
- Raisiman, Stephen, (1981 AD), History of the Crusades, translated by: Mr. Al-Baz al-Arini, second edition, Dar al-Thaqafa, Beirut.
- Ashour, Saeed Abdel Fattah, (1964), New Lights on the Saibi Wars, Dar Al-Qalam, Cairo.
- Mustafa, Shaker, (1998), In the History of the Levant, Introduction: Hassan Battikha, First Edition, Dar Talas for Studies for Translation and Publishing, No. M.
- Khalil, Imad al-Din, (1985), Imad al-Din Zangi, Second Edition, Al-Zahraa Modern Press, Mosul.
- Qasim Abdo Qasim, (1990), The Nature of the Crusades, National Council for Culture and Arts, Kuwait.

- Brockelmann, Karl, (1977), History of Islamic Peoples, Translated by: Nabih Amin Faris and Munir Al-Baalbaki, Seventh Edition, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut.
- Lyons and Jackson, (1988), Salah al-Din, translated by: Ali Madi, edited by: Nicola Ziad and Fahmi Saad, Al-Ahliya for Publishing and Distribution, Beirut
- Gibb, Sir Hamilton, (1996), Salah al-Din Studies in Islamic History, edited by: Youssef Ibish, second edition, Bissan for Publishing, Distribution and Media, Beirut.